الرياضة في زمن الصهيونية.. النادي في خدمة العصابة

الرياضة في زمن الصهيونية.. النادي في خدمـــــة العـــصابة

فـــضل عرابي

مقدمة

لم تكن الرياضة يوماً منفصلةً عن المشروع الصهيوني، فكانت أداةً للتربية القومية والفكرية، ووسيلةً لصهر يهود الشتات في بوتقةٍ واحدة، في ظل اختلافاتهم الثقـــــافية والتاريخية واللغوية، حيث لم يكن العامل الديني فعالاً بالقدر نفسه مع فئاتهم المختلفة ولا قادراً وحده على توحيد يهود العالم، وإنشاء دولة يهودية متجانسة في فلـــــسطين، فعملت الحركة الصهيونية على إحياء القومية اليهودية، بوسائـــــل مختلفة من بينها الرياضة، كما الأدب والمسرح واللغة.

يقول ماكس بودنهايمر[1]: "إن النشاط الرياضي المنظم له أهمية كبيرة فـــي صيانة اليهودية، وفي تقوية الوعي الوطني اليهودي".[2]

الرياضة وسيلةً لتحقيق أهداف الصهيونية

استخدمت الصهيونية الرياضة وسيلة من أجل تحقيق أطماعها في فلسطين منذ أواخر القـــرن التاسع عشر، وكنا قد تحدثنا في مادة سابقة "تصفيات كأس العالم 1934 و1938.. عن سرقـــة اسم فلسطين وكرتها"[3]، كيف وظفت الصهيونية الرياضة من أجل سرقة اســـــم فلسطين، وإبرازها بهوية صهيونية في المحافل الدولية.

وكان للأندية الصهيونية في أوروبا وفلسطين دورٌ هامٌ في صهيـــنة الشبيـــبة اليهودية، وإعدادها من أجل حمل السلاح والتحرك نحو اغتصاب فلسطين، وبناء الوطن القومي لليهود.

يوضح ألن تايلور في كتابه "العقل الصهيوني" أن الحركة الصهيونية التي أسسها ثيودور هـرتزل عام 1887 تبنت تفسيرات صهيونيةً مختلفةً: ثقافيةً، ودينيةً، واجتماعيةً، وســـــياسيةً، ورياضيةً.. فالرياضة بوصفها عنصراً ثقافياً وشكلاً مـــن أشكال الوعي الاجتماعي كـــــان لها تفسيرها الخاص في العقل الصهيوني، "فهي وسيلة من أجل إعادة بناء الحس القومي وخـــلق رياضة يهودية، تعمل على تحويل المشاعر والمفاهيم الدينية إلى قومية صهيونية". كما عـــدّ المفكرون الصهاينة الرياضة وسيلةً لبناء الوطن القومي، واستعادة اللغة، والأدب، والتـــاريخ.

وبنظرهم فإن الهدف من إقامة دولة "إسرائيل" لا يتحقق دون إعـــداد بدني وروحي ومعنوي للأجيال التي كان يتوجب عليها تحقيق هذا الهدف. وسعت الصهيونية إلـــى إبراز أن التفوق اليهودي لا يقتصر على المجال العلمي والفني فقط، وإنما يتعدّاه إلى المجـــال الرياضي، كما أيقنوا أنه لا وطن واحداً دون ثقافة واحدة، فكانت الرياضة جزءاً مقوماً لهـــذه الثقافة والأيديولوجية الصهيونية.[4]

لقد استخدموا الرياضة لخدمة مصالحهم، وسيلة من أجل تحقيق أهداف الصهيونية، وهو مـا ميزها عن أي نشاط رياضي في بلد آخر، فهي تشبه عملية استغلال النازية الألمانـــية للرياضة من أجل إعداد الشبيبة الألمانية للقتال وشحنها بروح الشوفينية والتفوق العرقي.[5]

جذور الحركة الرياضية الصهيونية

برزت فكرة استثمار الرياضة لتحقيق الأهداف الصهيونية في المؤتمر الصهيوني الثـــاني عام 1898 عندما طرح ماكس نوردو[6] فكرة العضل اليهودي، مؤكدًا على ضـــرورة أن ينتهي عهد اليهودي المترهل، وأن يبدأ عهد اليهودي ذي العضلات.[7] وكان ذلك بهدف تغيير صورة الضعف والخنوع التي عرف بها اليهود، وإيجاد جيل يهودي جديد يشبه بصفاته البـــدنية جيل (الدولة اليهودية).

إذ سعت الصهيونية لرفع اليهودية إلى مستوىً أعلى من خلال فكرة البعث القومي المرتـــبط بإرادة القوة، فعملت على بعث المثل العليا، وتربية الأجيال الجديدة بدنياً، وتشكيل روح يهودية تستند إلى تطوير المهارات العسكرية، بهدف إعادة العضل الصهيوني الضائع.

كما أشار مؤسس الحركة الصهيونية، ثيودور هرتزل، إلى هدف الرياضة في تحقيـــق التوسع الصهيوني عندما كتب في مذكراته: "يجب أن ندرب الأولاد لأن يصبحوا جنوداً، يجب أن نعلم كـل واحد منهم أن يكون حراً، قوياً، وجاهزاً لكي يخدم متطوعاً عند الحاجة إليه".[8]

كما وجدت نظرية البقاء للأقوى مكانةً خاصة في الفكر الصهيوني، الذي عمل على استـــغلال كل القوى من أجل إقامة الوطن القومي لليهـــود، فالصهاينة بحاجة للتصارع مع العرب في فلسطين من أجل البقاء، وفي اعتقادهم فإن التدريب البدني يهيئ الأمم الصغيرة للـــصمود أمام القوى المعادية.

الأندية اليهودية ونشاطاتها في فلسطين

في أواخر القرن التاسع عشر أسست الحركة الصهيونية أندية "المكابي" الرياضية في أوروبا، وفي بداية القرن الماضي بدأت بتأسيسها في فلسطين، قبل أن ينتقل مركـــزها الرئيس إلى فلسطين

فلسطين في عام 1925، بالإضافة لتأسيس أندية "الهابوعيل" و "البيـــتار" في عشرينيات القرن الماضي أيضاً.

فتأسس أول نادي للمكابي عام 1906 في مستوطنة "ريشون ليتسيون" قرب يافا ثم مكـــابي "رحبوت" 1909، تلاه "الهاشموناي" 1911 و"بتح تكفا" 1912، وبعد الحرب العالمـــية الثانية تأسس "مكابي حيفا" في عام 1919، ولاحقاً انتشرت أندية "الهابوعيل" في حيفا 1924 والقدس 1925، وتل أبيب 1927، ثم أندية "البيتار" في القدس وتل أبيب عام 1936.

واستمر تأسيس الأندية الصهيونية في فلسطين حتى النكبة عام 1948، كما اتخـــذت هذه الأندية الرياضية غطاءً لهجرة اليهود غير الشرعية إلى فلسطين، وتنفيذهم لعمليات عـسكرية إرهابية في الأربعينيات، وهي التي عملت منذ تأسيسها لتحقيق الأهداف الصهيونية، مـن خلال تدريب الشبيبة على حمل السلاح وتهريبه، والوقوف في صف واحد مع القيادة الصهيونية مـن أجل إقامة الوطن القومي لليهود، والتنسيق بين اليهود في فلسطين واليهود في العالم. فـي كتابه "أرض الميعاد" يشير الكاتب عبد الوهاب المسيري إلى أن الوكالة اليهودية عـــملت منذ العشرينيات على تأسيس شبكة تجسس؛ لها فروع في الدول العربية، كانت تعمـــل تحت ستار بعض المؤسسات الخيرية وأندية المكابي هناك. [9]

تتكون التركيبة الرياضية للأندية الرياضية في "إسرائيل" من عددمن الاتحادات، أبرزُها: "المكابي" الذي يعدّ أوّلها تأسيساً، و"هبوعيل" الذي يمكن احتسابه على التـــــيار المركزي الأشكنازي المؤسس لـ "إسرائيل"، و"بيتار"، الذي يمثل الجماهير اليمينية في كيان الاحتـــــلال، وفيما يلي استعراضٌ لتاريخِ هذه الاتحادات وأدوارها المتجاوزة للبعد الرياضي:

"المكابي"

أشارت الموسوعة الصهيونية إلى دور "المكابي" فقالت: "كان للمكابي نشاطٌ عـــــلى الساحة الثقافية فناضل من أجل الاعتراف باللغة العبرية ونشرها، وفي مجال النشاط العمالي والدفـــاع عن النفس،" وقد استطاع "المكابي" تجنيد 600 من أعضائه ضمن 5000 متطـــوع يهـــودي لمساندة الجيش الإنجليزي تحت اسم "الفيلق اليهودي" عام 1918 لمحـــاربة الدولة العثمانية. يقول أحد أعضاء "المكابي الرياضية" في فلسطين عن هذه التجمعات الرياضية في المستعـمرات قبل الحرب العالمية الأولى إنه، وإلى جانب تعلم العبرية والتاريخ والأدب، فإنها كانت في طليـعة الدفاع ضدّ الجيران المعادين (قاصداً العرب). [10]

وأكد الباحث عيسى السفري أن الحركة الصهيونية كانت تعطي الأولوية في الهـــــجرة لعناصر الشباب القادرين على حمل السلاح، ليشكّل منهم فرقـاً يهوديةً رياضـــيةً وكشفيةً أطلق عليهم اسم "المكابيين"، موضحاً أن الأعضاء المنتمين إلى هذه الفرق جميعهم من الشـــبان والشابات الذين يملؤهم الحماس للوطن اليهودي، وخصوصـاً الشباب الإصلاحيـــــــين أتباع

ستار الألعاب الرياضية ".[11]

"الهابوعيل"

في عام 1924 حدث أول انشقاق في صفوف الحركة الرياضية الصهيونية بعد خروج "عماليي" حيفا من اتحاد "المكابي" العالمي لأسباب سياسية، فشكّلوا نادي "الهابوعيل"، والذي تحول في عام 1926 إلى منظمة "الهابوعيل" الرياضية، وكانت تابعةً لنقابة العمال اليهودية "الهستدروت"، ثم انضمت إلى الاتحاد العالمي للرياضة العمالية (SASI) وكان الهدف الرئيسي لهذه المنظمة هو العمل بين "الجماهير" على حد تعبير الموسوعة الصهيونية، أكثر من إيجاد أبطال رياضيين.[12]

فعملت على تسخير قدراتها من أجل تنظيم التنافس الرياضي على أساس التوجيه القومي اليهودي، وتأهيل فلسطين للوصول إلى المستويات الدولية، من أجل تمثيل اليهود على الساحة الدولية لكي تبرز فلسطين أمام العالم يهوديةً ، خاليةً من العرب.

يقول ديفيد بن غوريون، وهو أول رئيس وزراء لدولة الاحتلال، عن منظمة "الهابوعيل" إنها " قلعة للطبقة العاملة، وعليها يتوجب مساعدة اليهود الجدد".[13]

كما كان لمنظمة "الهابوعيل" مساهمة فعّالة في تهريب السلاح من دول العالم إلى فلسطين، بالإضافة لمساهمتها في إنشاء المستعمرات الصهيونية، ومشاركتها في العمل مع عصابات "الهاغاناة" من أجل اغتصاب فلسطين بطرق وحشية.

تشير الموسوعة الصهيونية إلى أن "الهابوعيل" حاول استخدام اللقاءات الرياضية الدولية للتعريف بفلسطين أكثر من المكابي الذي كان يسعى دائمًا لتحقيق الفوز في المواجهات.[14]

"البيتار"

منظمة صهيونية أسسها القيادي الصهيوني المتطرف زئيف فلاديمير جابوتنسكي، بهدف التغطية على أعمال التدريب العسكري تحت غطاء الأندية، بعدما تظاهرت سلطات الاحتلال البريطاني بتشديد الرقابة على النشاطات الصهيونية، فرأى جابوتنسكي أن الوحدات العسكرية يجب أن تؤلّف تحت ستار الرياضة والنوادي للشبان في أنحاء مختلفة من العالم، على أن يكون هؤلاء الشبان في كل لحظة مستعدين لتأليف وحدة عسكرية كاملة التدريب والترتيب.

وتأسست منظمة "البيتار" في مدينة ريجا اللاتفية عام 1923، وكرست أنشطتها من أجل قيام دولة "إسرائيل" ونظمت أول هجرة لأعضائها إلى فلسطين عام 1925 من خلال التثقيف

خاتمة

ويبقى أن نؤكد على أن استخدام الحركة الصهيونية للرياضة في فلسطين لم يكـــــن ليحقق أي تقدم دون دعم سلطات الاحتلال البريطاني، التي كانت تقدّم الدعم السياسي والثقافي والرياضي لليهود، في مقابل تهميش الفلسطينيين.

فقدم الدعم الإنجليزي لكل العروض والاحتفالات الرياضية الصهيونية، وغـــــــابت الرقابة عن النشاطات السياسية للأندية الصهيونية، التي كانت تستخدم الرياضة غـــــــطاءً لنشاطاتها السياسية، كما نقل البريطانيون خبراتهم الرياضية للصهاينة، وساعدوهم فـــــي تنظيم عمل الأندية، وعرفوهم الطرق الصحيحة لبناء الاتحادات الرياضية، وتنظيم البطـــــولات التنافسية، وتشكيل المنتخبات، حتى أنه كان لبعض الضباط والمسؤولين البريطانيين مراكز شـــــــرف في الاتحادات اليهودية.

1- مفكر يهودي ألماني، وأول رئيس للمنظمة الصهيونية في ألمانيا.
2- عصام الخالدي، تاريخ الرياضة في فلسطين منذ مطلع القرن العشرين وحتى عام النكبة، "history of Palestine sports". https://cutt.us/Ha3x1 .
https://bit.ly/3GbIggI .
3- عصام خليفة، مئة عام على كرة القدم في فلسطين، (رام الله، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2013) ص 32-33.
4- المصدر السابق، ص 33.
5- مفكر يهودي، وأحد مساعدي مؤسس الحركة الصهيونية تيودور هرتزل.
6- عصام الخالدي، تاريخ الرياضة في فلسطين.
7- عصام الخالدي، مئة عام على كرة القدم في فلسطين، ص 32.
8- المصدر السابق، ص 34 و35.
9- عصام الخالدي، تاريخ الرياضة في فلسطين.
10- عيسى السفري، فلسطين بين الانتداب والصهيونية، (يافا، مكتبة فلسطين الجديدة، 1937) ص 21-22
11- عصام الخالدي، تاريخ الرياضة في فلسطين.
12- المصدر السابق.
13 - عصام الخالدي، مئة عام على كرة القدم في فلسطين، ص 37
14- عصام الخالدي، تاريخ الرياضة في فلسطين

سياق دعم النظام النصاري، ليعدّ المصطلح مخففـا من حقيقة الهزيمة التـــي لم تكن سوى نكبة أخرى.

الرباط: مفردة تعني الإقامة على الثغور التي قد يدخل منها الأعداء(35)، وقد اختصت سابقاً بمعنىً يتعلق برباط الخيل، "ثم صار لزومُ الثغر رباطاً "(36). وفي فلسطين نقول نحـــن في أرض الرباط، ومداد الشهداء والأسرى الممتد.. شاهد على ذلك، كما زاد اختص المعنى بالرّباط في المســجد الأقصى المبارك، مع الخطر الداهم الذي يتهدده اقتحاماً وتهويداً وتقسيماً زمانياً ومكانيّـــا، حتى أطلق لفظ المرابطين والمرابطات في السياق الفلسطيني على عمّار المسجد الأقصى.

الخاتمة

في الختام، يظهر مما سبق أن دلالات ألفاظ لغويةٍ معينةٍ تتطور تبعاً للحالة الفلسطينـــية والمعطيات المتوقعة وغير المتوقعة، والمستعمرُ في حالاته كافةً يستهدف هذه البـــلاد، بما يتضمن لغتها وهويتها الثقافية، وهذا ما ترجمه الاستعمار الغربي للدول العربية فعلا على أرض الواقع في الجزائر ولبنان ومصر وسوريا وفلسطين وغيرها، وتجلى ذلك عبـــــر سياسات العولمة وخلق عقد نقص في قلوب المتحدثين باللغة العربية، تصيب ثقافتهم العربيـــــة بالهشاشة، فيقبلون على لغة المستعمر وثقافته.(37)

المصادر والمراجع

- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008م.
- رمزي منير بعلبكي وآخرين، اللغة والهوية في الوطن العربي: إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان، 2013م.
- ساري عرابي، لماذا نرفض التطبيع مع الاحتلال الإسرائيلي؟، "ورشة البحرين الاقتصادية".. لماذا يرفض الكثيرون التطبيع مع الاحتلال الإسرائيلي؟، ميدان/ الجزيرة نت، 21/4/2019، https://bit.ly/3v2ggFl
- طلال ناجي، الاستيطان الصهيوني والمقاومة الفلسطينية، ط1، الجمعية الفلسطينية للتاريخ والآثار والجمعية الجغرافية الفلسطينية، القدس، 1987م.
- عبد الله السناوي، «إرث عبد الناصر» | 5 يونيو: كيف وقع الزعيم في الفخ المنصوب؟، صحيفة الأخبار اللبنانية، 2019/9/19، https://bit.ly/3VaYqLj

(35) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ر ب ط).
(36) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ر ب ط).
(37) انظر: مجموعة مؤلفين، اللغة والهوية في الوطن العربي: إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، صفحة 119-127.

- علي الجرباوي، المفاوضات العربية والفلسطينية مع إسرائيل: الأزق والحلّ ، مجلّة الدِّراسات الفلسطينية، 2009م، المجلد 20\ع 78.
- عوني فارس، سّاري عرابي، مفاهيم ومصطلحات القضية الفلسطينية، ط1، مركز رؤية للتنمية السياسية، تركيا، 2016م.
- محمد اشتية وآخرون، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، دار الجليل للنشر، عمان، 2011م.
- مهدي عرار، جدل اللفظ والمعنى، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، 1995م.
- ابن منظور، محمد بن مكرّم (ت 711هـ)، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، 1290م.
- هيئة جائزة سليمان عرار للفكر والثقافة، الموسوعة الفلسطينية الميسرة، ط2، أروقة للدراسات والنشر، عمان، 2013م.
- نخبة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ط6، دار المختصر للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، 1441ه.
- معايير المقاطعة ومناهضة التطبيع 12-10-2020، رابط الموقع: https://tinyurl.com/3z7xbm74